

صيد الخاطر

29 - - فصل : لماذا تكثر الحسنات و السيئات ؟ .

كل شيء خلق اﷻ تعالى في الدنيا فهو أنموذج في الآخرة و كل شيء يجري فيها أنموذج ما يجري في الآخرة فأما المخلوق منها فقال ابن عباسBهما : [ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء] .

وهذا لأن اﷻ تعالى شوق بنعيم إلى نعيم و خوف بعذاب من عذاب .
فأما ما يجري في الدنيا فكل ظالم معاقب في العاجل على ظلمه قبل الآجل و كذلك كل مذهب ذنبا وهو معنى قوله تعالى : { من يعمل سوءا يجز به } .

و ربما رأى العاصي سلامة بدنه و ماله فظن أن لا عقوبة و غفلة عما عوقبت به عقوبة .
و قد قال الحكماء : المعصية و الحسنه بعد الحسنه ثواب الحسنه .
و ربما كان العقاب العاجل معنويا كما قال بعض أحبار بني إسرائيل : [يا رب كم أعصيك و لا تعاقبني ؟] فقل له : [كم أعاقبك و أنت لا تدري أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي ؟] .
فمن تأمل هذا الجنس من المعاقبة وجده بالمرصاد حتى قال وهب بن الورد و قد سئل : أيجد لذة الطاعة من يعصي ؟ فقال : و لا من هم .

فرب شخص أطلق بصره فحرمه اﷻ اعتبار بصيرته أو لسانه فحرم صفاء قلبه أو آثر شبهة في مطعمه فأظلم سره و حرم قيام الليل و حلاوة المناجاة إلى غير ذلك .
و هذا أمر يعرفه أهل محاسبة النفس و على ضده يجد من يتقي اﷻ تعالى من حسن الجزاء على التقوى عاجلا كما [في حديث أبي أمامة : عن النبي صلى اﷻ عليه و سلم يقول اﷻ تعالى :
النظرة إلى المرأة سهم مسموم من سهام الشيطان من تركه ابتغاء مرضاتي آتيته إيمانا يجد حلاوته في قلبه] .

فهذه نبذة من هذا الجنس تنبه على مغفلها .
فأما المقابلة الصريحة في الظاهر فقل أن تحتبس و من ذلك قول النبي صلى اﷻ عليه و سلم : [الصبحة تمنع الرزق وإن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه] .

و قد روى المفسرون : أن كل شخص من الأسباط جاء باثني عشر ولدا و جاء يوسف بأحد عشر بالهمة و مثل هذا إذا تأمله ذو بصيرة رأى الجزاء و فهم كما قال الفضيل : [إنني لأعصي اﷻ D فأعرف ذلك في خلق دابتي و جاريتي] .

و عن أبي العثمان النيسابوري : أنه انقطع شمع نعله في مضيه إلى الجمعة فتعوق لإصلاحه ساعة ثم قال : [ما انقطع إلا لأنني ما اغتسلت غسل الجمعة] .

و من عجائب الجزاء في الدنيا أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف { و شروه بثمان
بخس } امتدت أكفهم بين يديه بالطلب يقولون : { و تصدق علينا } .
و لما صبر هو يوم الهمّة ملك المرأة حلالا و لما بغت عليه بدعواها : { ما جزاء من أراد
بأهلك سوء } أنطقها الحق بقولها { أنا راودته } .
ولو أن شخصا ترك معصية لأجل □□ تعالى لرأى ثمرة ذلك وكذلك إذا فعل طاعة و في الحديث :
[إذا أملتكم فتاجروا □□ بالصدقة] أي عاملوه لزيادة الأرباح العاجلة .
و لقد رأينا من سامح نفسه بما يمنع منه الشرع طلبا للراحة العاجلة انقلبت أحواله إلى
التنغص العاجل و عكست عليه المقاصد .
حكى بعض المشايخ : أنه اشترى في زمن شبابه جارية قال : [فلما ملكتها تاقت نفسي إليها
فما زلت أسأل الفقهاء لعل مخلوقا يرخص لي] .
فكلهم قال : [لا يجوز النظر إليها بشهوة و لا لمسها و لا جماعها إلا بعد حيضها] .
قال : فسألتها فأخبرتني أنها اشتريت و هي حائض [فقلت : [قرب الأمر] .
فسألت الفقهاء فقالوا : [لا يعتد بهذه الحيضة حتى تحيض في ملكه] .
قال : فقلت لنفسي و هي شديدة التوقان لقوة الشهوة و تمكن القدرة و قرب المصاقبة : [
ما تقولين ؟] .
فقالت : [الإيمان بالصبر على الجمر شئت أم أبيت] .
فصبرت إلى أن حان ذلك فأثابني □□ تعالى على ذلك الصبر بنيلي ما هو أعلى منها وأرفع